(( شريكان في الأجر ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

شريكان في الأجر ..

تعالوا معي إلى ..

أعظم الزهد، وأجود الكرم ، وأعجب الإيثار ..

تعالوا معي إلى ..

مشهد تاريخي ، وموقف نبوي ، وإيثار صحابي ..

من أين أبدأ؟ وكيف أبدأ؟

والقلب يرجف ، واللسان يتلجلج ، والجوارح تضطرب .

أَخِي لا أحدثك اليوم حديثاً عابرا ، ولا أقص عليك قصة من نسج الخيال .

أحدثكم اليوم عن خبر روته كتب السنة أخرجه الشيخان ، وجرت فصوله وأحداثه بين يدي رسول الله ، فبالله عليك تأمله تدبره سَرِّحْ مَعَهُ مَا شِئْتَ

مِنْ خَيَالِكَ، فَأَنْتَ أَمَامَ مَشْهَدٍ قلّ أن ترى له مثيلا.

يجلس الحبيب العظيم والرسول الكريم بين أصحابه ،

وإذا برجل من أصحابه يتخطى الرقاب ويمشى الهوينى أضناه التعب ، ألمه الجوع ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، هزل جسمه ، أعوزه الفقر ، كسرته الحاجة علا وجهه الضعف والآسى ، هَا هُوَ يقف بين يدي رَسُولِ اللَّهِ ، الذي فَاضَتْ بِالْعَطَايَا يُمْنَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَجْهُودٌ أنا ضيفك يا رسول الله.

يا لها من كلمة قاصمة يقولها الرجل عندما تضيق به الحاجة إني مجهود (أي: أصابني الجهد) وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع .

لم تحفظ لنا دواوين السنة اسم ذلك الرجل، ولم تدوّن كتب السنة والتاريخ وصفه ونعته لكنها كشفت عن حاله ومقاله، فحاله الفقر والجوع والمسغبة .

ومقاله يا رسول الله إني مجهود غلبني الجوع لحاجة،

وإذا برسول الله يرقّ لحاله، ويسمع لمقاله، فيبعث سريعا رسوله إلى بيوت زوجاته لعله أن يظفر بكسرة خبز أو حفنة بر، أو حبيبات تمر يسدّ بها جوع سائله.

فجاء رسول رسول الله إلى بيوت إحدى زوجات النبي الله يسألها عن طعام لضيف رسول الله

فأتاه الجواب سريعاً..

والذي بعثه بالحق نبيا ليس عندنا إلا ماء.

الله أكبر .. ليس عندنا إلا ماء؟

فأرسل رسول الله إلى زوجته الأخرى ،

فأتاه الرسول بعد هنيهه وهمس له بجواب أهل بيت رسول الله ، والله ليس عندنا إلا ماء.

يا لله العجب!

فأرسل النبي رسوله لزوجته الثالثة ، ولزوجته الرابعة والخامسة وإلى جميع زوجاته ، والجواب يتوحد على ألسنة زوجات رسول الله وحالهن في بيوتهن والذي بعثك بالحق ليس عندنا إلا ماء.

هذه بيوت من !؟ هؤلاء زوجات من !؟

بيت سيد ولد آدم ، وبيوت زوجات أمهات المؤمنين تبيت خاوية على عروشها، يمضي عليها الهلال والهلال و الهلال ولا توقد فيها نار

سجل يا تاريخ بحروف من ذهب ، واكتب يا قلم ، واحفظ يا زمان ، واذكر أيها الجيل المتنعم حال نبيك وحال بيوته.

يا ترى متى نرضى بما قسمه الله ؟

يا ترى متى نقنع بما أتانا الله ؟

يا ترى متى نحمد الله على نعمه وفضله ؟

بيوت خير خلق الله ، وأشرف وأقرب وأنقى وأتقى وأعظم أنبياء الله.

تخلو من حبيبات تمر، وحفنة شعير ، وكسرة خبز ، ناهيكم عن اللحوم ، وألوان الأطعمة والأشربة، التي تكدست بها بيوتنا .

إنها الدنيا الفانية .. إنها الدنيا الحقيرة ..

دارِ الغُرورِ وَمَأوى كُلِّ مُرزيَةٍ

وَمَعدِنِ البُؤسِ وَاللأَواءِ وَالمِحَنِ

الزَورُ ظاهرُها وَالغَدرُ حاضِرُها

وَالمَوتُ آخِرُها وَالكَونُ في الشَطنِ

تُبيدُ ما جَمَعت تُهينُ من رَفعَتٍ

تَضُرُّ مَن نَفَعت في سالِفِ الزَمَنِ

ورب الكعبة لو شاء رسول الله أن يفتح الله له نافذة من متاع الدنيا لأتاه الله من كنوز الدنيا مالا يفنى،

ولملئت بيوته بأطيب الطعام وألذ الثمار وأفخم الأثاث.

فقد خيّره ربه بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة ، فاختار ما عند الله، وقال الله له ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الضحى: ٤

في صحيح مسلم يقول عمر بن الخطاب > : «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ»

والله يا كرام لو كان التنعم بالدنيا كرامة ، لكان أولى الناس بها رسول الله @ .

وإذا برسول الله @ بعد ما علم أن بيوته خاوية من طعام لضيفه الذي جاءه في مجلسه ويقول يا رسول الله أني مجهود فضيفني ، يشخص ببصره إلى أصحابه ويقدم هذا العرض النبوي ، من يضيف ضيف رسول الله؟

الله أكبر.. ليس بضيف فقط بل ضيف رسول الله، وإذا برجل من الأنصار يقول : أنا، أنا يا رسول الله. إنه الصحابي الباذل الكريم أبو طلحة الأنصاري> وينطلق أبو طلحة فرحاً بضيف رسول الله إلى بيته ويطرق بابه ويدنو من زوجته ويسألها في خفية: هل عندك من طعام؟

هل عندك من قوتٍ لضيف رسول الله @ ؟

فقالت والله يا أبا طلحة ما عندنا إلا قوتُ صبياني لهذه الليلة، ولك أن تتخيّل طعام صبيانها في قلتهِ ومكانتهِ في نفسها ، وإذا بزوجها ووالد صبيانها يقول لزوجنه: عللي الصبيان بشيءٍ ونوميهم : فإذا دخل الضيف فأطفئ السراج ، وأريه أنّا نأكل ولا نأكل ، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه فقامت المرأة طائعةً لأمر زوجها ، وإكرام ضيف رسول الله @ ، وقلبها يتقطع ألماً على حال صبيانها، ونومهم جياع ،ففعلت الزوجة بضيف رسول الله @ ما أمر به زوجها وأنامت صبيانها جياع، وأطفأت السراج حتى أظلم المكان ،ونامت وزوجها جياع ، وأطعما ضيف رسول الله @ بعدما نامت الأسرة كلها تحت وطأة الجوع ، وشبع ضيف رسول الله @

مشهدٌ والله يا قوم لا أجد في بلاغةِ البلغاء،

ولا فصاحة الخطباء ، ولا أبيات الشعراء ،

ما يصف هذا الإيثار العظيم ،

مشهد لم تصوره قناه ، ولم يعرض على الهواء ، ولم تتبادله وسائل الإتصال ،

بل مضى في سريّةٍ وإخلاصٍ وخفية.

ولكن الله تعالى أبى إلا أن يكشف ذاك الصنيع العجيب ، فبعد ما مَرَّتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَلَى الضَّيْفِ وقد سدَّ رمق بطنه، وَبَاتَ عِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ فِي بَيْتِهِ بِرَاحَةٍ وَهَنَاءٍ، ونام أَبُو طَلْحَةَ وَزَوْجَتُهُ وَصِبْيَانُهُ على مسغبتهم بَعْدَ ما طَوَى الْجُوعُ أَكْبَادَهُمْ .

أقول قولي وأستغفر الله ..

الثانية

وَانْتَهَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ بِضِيَافَتِهَا الْمُتَوَاضِعَةِ ، وَلَكِنْ ؛ هَلِ انْتَهَتْ حَلَقَاتُ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ؟ وَهَلْ طَوَتِ الْقِصَّةُ صَفَحَاتِهَا؟ هل مضى هذا الموقف الايماني والايثار التاريخي دون أن يخلده التاريخ وتحفظه السماء ؟

كَلَّا، كَلَّا!

فبعد ما أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ شُعَاعَهَا، وَأَنَارَ فِي الْأُفُقِ ضِيَاؤُهَا، فَغَدَا أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ جائعاً إِلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ ولم يحدّث بشيء من إيثاره وضيافته، وإذا بأبي طلحة ينظر إلى رسول الله فَيرَى أَسَارِيرَ الْوَجْهِ النَّبَوِيِّ الْشريف قَدِ اسْتَنَارَتْ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، فَهَشَّ لَهُ النَّبِيُّ وَبَشَّ، وَقَالَ لَهُ مُبَشِّرًا وَمُثْنِيًا يا أبا طلحة : "لَقَدْ ضَحِكَ اللَّهُ - أَوْ عَجِبَ اللَّهُ- مِنْ فَعَالِكُمَا بِضَيْفِكُمَا، الله أكبر لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة وَأَنْزَلَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ ﭽﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅﭼ الحشر: ٩ ".

لَقَدْ عَجِبَ رَبُّنا ، الله ربُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، الْمَلِكُ الْوَاحِدُ الْعَظِيمُ، مِنْ صَنِيعِ ذَاكَ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ وأهله، فَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ، وَتنَزَلَت الآيات ، وجاء الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، بِقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:

ﭽﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅﭼ الحشر: ٩

لا أدري والله كيف تلقى أبو طلحة هذا الخبر والله يكاد القعل يذهب والقلب يقف ، الله جل شأنه ضحك وعجب من صنيع أبي طلحة وأنزل قرآناً يتلى. لمْ يَتَمَالَكْ أَبُو طَلْحَةَ نَفْسَهُ مِنَ الْفَرَحِ ، حِينَ سَمِعَ تِلْكَ الْبِشَارَةَ مِنْ فَمِ النَّبِيِّ فَأَسْرَعَ خُطَاهُ نَحْوَ بَيْتِهِ الَّذِي بَاتَ جَائِعًا ؛ لِيُثْلِجَ صَدْرَ زَوْجَتِهِ ، وَيُقِرَّ عَيْنَهَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ فِي شَأْنِهِمَا كِتَابًا يُتْلَى إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

يا كرام هذا حال القوم ، هؤلاء أصحاب رسول الله صَفْحَةٌ بَيْضَاءُ ، وَمَشْهَدٌ خالد ، وَمَوْقِفٌ سَطَّرَهُ الْقُرْآنُ ، لَا يَسَعُ النَّفْسَ إِلَّا أَنْ تَقِفَ أَمَامَهُ خَاشِعَةً،

مُتَرَضِّيَةً عَنِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وِسَادَةِ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ.

وَاللَّهِ مَا ادَّكَرَتْ رُوحِي لِسِيرَتِهِمْ

إِلَّا تَمَنَّيْتُ فِي دُنْيَايَ لُقْيَاهُمْ

تمت ..